7

الفراسة فى القرآن والسنة النبوية

- الفراسة الإيمانية الربانية، والأخرى المكتسبة ذات الدلالات الظنية.
- الفراسة وعلم الغيب.

الفراسة فى القرآن، والسنة النبوية

الفراسة كما ذكرها الرازى وغيره أنها الاستدلال بالخَلْق الظاهر على الخُلُق لباطن.

ولذلك قال: اعلم أن الاستدلال على حصول الشىء تارة بما يكون علة له.

وثانيا: بما يكون معلولاً له.

وثالثاً: يكون معلولاً لعلته.

وهو ما يسمى الاستدلال بأحد المعلولين على المعلول الثانى.

ويمكن التوصل إلى معرفة الأخلاق الباطنة التى فى إنسان تارة يكون علته الموجبة له وهو المزاج البدنى.

وتارة أخرى بمعلوله وأثره وتلك هى الأفعال الصادرة عن الإنسان.

وثالثاً: بسائر الأحوال التى هى كالمعلولات للمزاج الأصلى الإنسانى[1].

ومعرفة المزاج لا يمكن إلا بعد معرفة الأحوال التى منها يتركب، لأن بدن الإنسان مركب من علل أربع هى: المادية والصورية، والفاعلية والغائية.

فأما المادية وهى ما يوجد الشىء بالقوة.

وأما الفاعلة وهى ما يوجد الشىء بسببه.

وأما الغائية: وهى ما يوجد الشىء لأجله.

والصورية: وهى ما يوجد الشىء بالفعل[2].

(١) الفراسة للفخر الرازى بتصرف يسير.

(٢) هامش كتاب الفراسة للرازى تحقيق مصطفى عاشور.

ونجد لعلم الفراسة أساساً فى القرآن الكريم الذى هو تبيان لكل شىء،

(١) كقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٧٣).

يصف الحق سبحانه وتعالى الفقراء الذين لم يستطيعوا الخروج للجهاد فى سبيل الله من المهاجرين والأنصار، قال قتادة وابن زيد: معنى «أحصروا فى سبيل الله» أى حبسوا أنفسهم عن التصرف فى معايشهم خوف العدو، ولهذا قال تعالى: ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ﴾ لكون البلاد كلها كفرا مطبقاً[١]:

﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ (البقرة: ٢٧٣).

أى أنهم من الانقباض وترك المسألة والتوكل على الله يحسبهم الجاهل أغنياء، وهذا لعدم فراستهم وغبائهم.

قال ابن كثير رحمه الله[٢] أى الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم أغنياء من تعففهم فى لباسهم وحالهم ومقالهم وفى هذا المعنى الحديث المتفق على صحته عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ليس المسكين بهذا الطوَّاف الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان والأكلة والأكلتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يُفطن له فيُتصدق عليه ولا يسأل الناس شيئاً[٣].

فصاحب الفراسة يمكنه التعرف على هؤلاء الفقراء الذين يخفون فقرهم ولا يسألون الناس شيئاً وذلك من خلال التعرف على سيماهم أى بما يظهر لذوى العقول من صفاتهم.

فالفراسة فى هذه الآية قرينة الأذكياء أصحاب الفطن والقلوب المؤمنة وهى الفراسة الإيمانية.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٠).

(١) تفسير القرطبى. (٢) تفسير ابن كثير.

(٣) الحديث رواه أحمد فى المسند عن ابن مسود رضي الله عنه ورواه مسلم أيضا، ومثله عند البخارى.

فقد حددت الآية الفراسة بأمرين شكلى مادى وآخر إيمانى، فالأول «بسيماهم» أى هيئتهم وشكلهم.

والثانى «لحن القول» أى من خلال إحساسك بصوتهم.

فالآية نزلت فى المنافقين الذين يظهرون الإسلام والإيمان ويبطنون الكفر ومحاربة الإسلام، ويعتقد هؤلاء المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين، بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذوو البصائر(١).

وهذه هى الفراسة الإيمانية التى هى من عند الله يعطيها لمن يشاء من عباده، كما أعطاها إلى أنبيائه ورسله، وقد جاء فى الحديث «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله».

فالفراسة أيضا هى المهارة فى التعرف على بواطن الأمور من ظواهرها، ويمكن الحصول عليها منحة إلهية ربانية.

(٣) قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ٢٩)

فيصف الحق سبحانه وتعالى المؤمنين وأصحاب النبى ﷺ بكثرة الركوع والسجود لله عز وجل، ولذلك يعرفهم الناس بسيماهم من أثر السجود، فتجد علامة السجود والصلاة على جبهتهم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: سيماهم فى وجوههم يعنى السمت الحسن.

وقال مجاهد وغير واحد: يعنى الخشوع والتواضع، وقال أيضا: الخشوع.

وقال السدى: الصلاة تحسن وجوههم.

وقال بعضهم: إن للحسنة نوراً فى القلب وضياء فى الوجه وسعة فى الرزق

(١) تفسير ابن كثير.

ومحبة فى قلوب الناس.

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه[1].

(٤) قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ (الحجر: ٧٥)

والآية جاءت عقب ذكر قصة قوم لوط وهلاكهم فأشار الله عز وجل إلى أن فى ذلك الأمر آية وأن آثار هذه النقم الظاهرة على تلك البلاد لمن تأمل وتوسمه بعين بصره وبصيرته.

والمتوسمون: هم المتفرسون.

وقال ابن عباس والضحاك: للناظرين.

وقال قتادة: للمعتبرين.

وقال مالك: للمتأملين.

روى الترمذى وابن جرير عن ابن سعيد مرفوعاً أن رسول الله ﷺ قال: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» ثم قرأ النبى ﷺ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[2] (الحجر: ٧٥)

وعند ابن جرير بسنده عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وبتوفيق الله».

وقال أيضاً «إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم»[3].

قال المناوى فى: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» معلقاً على الحديث: «اتقوا فراسة المؤمن...».

قال الراغب: الفراسة الاستدلال بهيئات الإنسان واشكاله وألوانه وأقواله على أخلاقه وفضائله ورذائله.

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر تفسير ابن كثير للآية، وقال رواه الترمذى وابن جرير وقال الترمذى لا نعرفه إلا من هذا الوجه وذكره ابن جرير عن ثوبان وابن عمر وقد ضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع.

(٣) رواه الحافظ أبو بكر البزار وذكره أيضا عنه ابن كثير فى التفسير.

الفراسة الإيمانية الربانية، والفراسة المكتسبة ذات الدلالات الظنية

ذُكر أن الفراسة إما أن تكون إيمانية إلهامية أو الفراسة المكتسبة أو الفراسة العادية التى يمكن لأى إنسان ذكى تعلمها من خلال الدلالات المعينة التى تعرف بقرائن الأحوال.

وأما الفراسة الإيمانية فهو نور يقذفه الله فى قلوب عباده المخلصين الذى اتبعوا رضوانه واتبعوا صراطه المستقيم، فغضوا البصر عن محارم الله، وأدوا العبادات على أحسن وجه، وكانوا من الذاكرين الله فى كل أحوالهم، وطاب مطعمهم فكانوا عباداً لله صالحين.

والفراسة المكتسبة يتعلمها الإنسان إضافة إلى أدائه العبادات ولزومه ذكر الله، حتى يرتقى إلى الفراسة الإلهامية أو يقترب منها قليلاً، لأنها سبيل العارف إلى المعرفة التى تكنها الضمائر.

أما فراسة الدلالة وتسمى أيضا فراسة الشكل فهى التعرف على شخصية المرء الباطنية والظاهرية من خلال ملامحه الظاهرة الشكلية، وهى قائمة على استنتاجات العلماء، ولذلك سميت فراسة ظنية وهى قابلة للخطأ والصواب.

وفى ذلك يقول ابن تيمية ـ رحمه الله:

قالوا: الفراسة البدنية هى عين التمثيل، غير أن الجامع فيها بين الأصل والفرع دليل المعرفة، لا لنفسها وهو المسمى فى عُرف الفقهاء بقياس الدلالة، فإنها استدلال بمعلول العلة على ثبوتها، ثم الاستدلال بثبوتها على معلول

الآخر، إذ مبناها على أن المزاج علة لخلق باطن كالاستدلال بعوض الأعلى على الشجاعة، بناء على كونها معلولى مزاج واحد، كما يوجد مثل ذلك فى الأسد(١).

أما عن الفراسة الإيمانية فقال:

اعلم أن عدم الخوارق علماً وقدرة لا تضر المسلم فى دينه، فمن ينكشف له شىء من المغيبات ولم يسخر له شىء من الكونيات لا ينقصه ذلك فى مرتبته عند الله، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له، فإنه إن اقترن به الدين وإلا هلك صاحبه فى الدنيا والآخرة(٢).

وبالتالى فالقاعدة هنا كما قال أهل العلم إن من زاد إيمانه وتقواه لله زادت فراسته لأنه يرى بنور الله.

يقول ابن القيم رحمه الله: تلك الفراسة بها قائم مشترك بين المؤمن والكافر وهى لا تدل على ولاية وكثير من الجهل يعتريها وللرهبان فيها وقائع معلومة وهى فراسة لا تكشف عن حق نافع ولا عن طريق مستقيم ويعتبر كشفها كشفاً جزئياً من جنس فراسة الولاية(٣).

وهذه الفراسة التى ذكرها ابن القيم هى فراسة العُبَّاد والزهاد من مختلف الأديان غير الإسلام وهى قائمة على الخلوة وتجويع الجسد لحصول شفافية الروح وتغلبها على الجسد المادى كما فى رياضة اليوجا وما يفعله الرهبان وغيرهم (والله أعلم)

---

(١) انظر الرد على المنطقيين ـ لابن تيمية.

(٢) كرامات الأولياء.

(٣) انظر مدارك السالكين بتصرف.

الغيب وعلم الفراسة

الغيب نوعان: غيب مطلق وغيب نسبى.

أما الغيب المطلق فلا يعلمه إلا الله وحده عز وجل، وهو خمسة أمور جاء ذكرها فى قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤).

وقال ﷺ: «خمس لا يعلمهن إلا الله عز وجل: «إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت[1].

فالغيب المطلق الذى علمه عند الله كما جاء ذكره فى الآية والحديث:

- علم الساعة.
- نزول المطر.
- ما فى الأرحام.
- ماذا تكسب غداً.
- وما تدرى نفس بأى أرض تموت.

أما الغيب النسبى فهو ما دون ذلك ويخفى عليك ويعلمه غيرك وكله فى الماضى أو الحاضر وليس فى المستقبل الذى يختص به الله، فهو بالنسبة لك

(١) رواه أحمد وإسناده صحيح.

غيب وأما للآخرين فهو شهادة.

والفراسة قد تكشف وخاصة الإيمانية الإلهامية قد تكشف عما فى ضمائر الناس وهذا ليس من الغيب المطلق.

أما من قالوا إن الفراسة تشترك مع الغيب المطلق فى بعض الأمور، فهذا خطأ وخلط فى الفهم وقد استدلوا بقول أبى بكر الصديق رضي الله عنه وهو خليفة المسلمين على فراش الموت لابنته عائشة يوصيها بزوجته الحامل وإخبارها أنها ستلد أنثى، وقد ولدت امرأته بعد وفاته أنثى.

فهذا من الفراسة الإيمانية القائمة على بعض الاستدلالات التى رآها أبو بكر رضي الله عنه فى امرأته الحامل وهذا حاصل عند الناس حتى اليوم وهى نوع من الفراسة الظنية أيضاً، وقد يكون قوله إلهاماً من الله عز وجل.

أما الغيب المطلق فلا يعلمه إلا الله وحده وما يوحيه إلى رسله لتأييدهم.

قال تعالى فى أواخر سورة الجن:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (الجن: ٢٦ ـ ٢٨)

قال ابن كثير رحمه الله: هذه كقوله تعالى:

﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة: ٢٥٥)

وهكذا قال ههنا إنه يعلم الغيب والشهادة وإنه لا يطلع أحد من خلقه على شىء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه ولهذا قال:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾

(الجن: ٢٦ ـ ٢٧).

وهذا يعم الرسول الملكى ـ أى من الملائكة ـ والبشرى.

ثم قال تعالى:

﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾ (الجن: ٢٧).

أى يخصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ويساوقونه على ما معه من وحى الله ولهذا قال:

﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ﴾.

(الجن: ٢٨).

اضاف: أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل ليعلم محمد ﷺ «أن قد أبلغوا رسالات ربهم» ليعلم نبى الله أن الرسل قد بلغت عن الله وأن الملائكة حفظتها ودافعت عنها.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.